إنجيل متى ٢٧: ٢٧-٥٠

الصليب

تأليف: تومي ساوث

« فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة. فعروه وألبسوه رداء قرمزيا. وضفروا له إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود. وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب. »

« ... ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها... » (٢٧: ٢٧-٥٠).

تعيين هوية وبراءة يسوع إستنادا على محاكماته، يصف متى معاناة يسوع وموته على الصليب. في الحقيقة، كلمة « يصف » ليست تلك الكلمة القوية لجميع كتاب الأناجيل التي تكمن في التفاصيل الرهيبة للصلب أو توضح الألم التي اختبرها يسوع. رعب الموت الذي لا يمكن تصوره في عملية الصلب كان معروفا في القرن الأول في فلسطين. وبكل بساطة النطق بكلمة « أصلب » يكفي لأثارة الرعب.

فكرة موت يسوع على الصليب مرعبة جدا والتي قد تولد فينا بعض الأحيان فكرة لا نصدقها. إننا نميل إلى القول بانه « ربما لم يشعر فيها يسوع بالفعل، لأنه ابن الله. » أو « لم يكن هذا ما كان يقصد الله. إنها مأساة غير متوقعة وليست مشيئة الله ». ولكن الأسوأ لحد الآن هو الرأي الذي يقول انه لم يكن هناك حاجة قصوى للصليب لكي نحصل على خلاص البشر، يمكن أن يختار الله طريقة أخرى. »

مركز رسالتنا

أصبح الصليب مركز البشارة نفسها عن يسوع كما كرز الرسل به - لم يكرزوا بحقيقته فقط، بل بأهميته كذلك.

يقول متى: « من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورئساء الكهنة والكتبة ويقتل في اليوم الثالث ويقوم » (١٦: ٢١). وعندما قبضوا على يسوع قال « وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء. حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (٢٦: ٥٦).

في الوعظة التي ألقاها بطرس يوم الخمسين أعلن: « هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه » (أعمال ٢: ٢٣).

يواجه بولس مقاومة لفكرة الصليب في أيامه. في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ١٨-٢٥ أجاب بولس:

> فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصون فهي قوة الله. لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم أين الكاتب. أين مباحث هذا الدهر ألم يجهل الله حكمة هذا العالم. لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة. لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكن نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وأما للمدعين يهودا ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس.وضعف الله أقوى من الناس.

وبعد ذلك أضاف فيما يتعلق بكرازته في كورنثوس « وأنا لما أتيت إليكم إيها الأخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مناديا لكم

بشهادة الله لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا» (١ كورنثوس ٢: ١ ، ٢). ومع ذلك عرف بولس الرسالة. أن رسالة الصليب كانت إهانة للكثيرين، عرف أنه لم يكن لديه ما يقوله له قيمة أبدية عدى كلمة الصليب.

ولا تختلف تلك الرسالة ليوم، أية رسالة الخلاص من الخطية، والحياة الأبدية مع الله، وجميع البركات الروحية التي يقدمها الله، هي رسالة أن ابن الله مات على الصليب من أجلنا. بقدر ما يمكن أن نصاب بخيبة أمل بفكرة الموت المرعب الذي اختبره يسوع، يجب أن «نلتصق بالصليب القديم» كأمل وحيد لنا. «وأما عندنا نحن المخلصون، فهي قوة الله».

مصدر خلاصنا

ولكن لماذا الصليب؟ لماذا تكون مثل هذه التضحية المرعبة ضرورية؟ لماذا لا يمكن أن تكون وسيلة أخرى؟

الجواب على ضرورة الصليب من جزئين. الأول إنه يمثل فداحة خطيتنا، عندما تتولد لدينا مشكلة في قبول حقيقة وضرورة الصليب، وذلك لأننا لم نتأثر بعمق خطيتنا. لو أدركنا كم نحن خطاة لن نعجز على فكرة أنه يتطلب موت المسيح ابن الله ليخلصنا. إنها تتطلب الصليب لكي يكفر لخطايانا، ولأننا غير مدانين بأخطاء صغيرة، لا يمكن أن يكون هناك تكفير صغير! سبق إشعياء النبي وقال يجب أن يكون كذلك:

> لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا، وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا (إشعياء ٥٣: ٤-٦).

ردد بولس صدى هذه النبوءة: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه (٢ كورنثوس ٥: ٢١). وفي الرسالة إلى رومية أعلن ذلك «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رومية ٣: ٢٣-٢٥) لذلك يمكن أن نتبرر بنعمة الله فقط. هذه النعمة التي أُظهرت بوضع يسوع مسبقا «ككفارة» - ذبيحة خطية.

بدون كفارة كاملة القوة التي قدمت بتضحية يسوع المسيح، يمكن أن لا يكون هناك خلاص للخطاة مثلنا. حالما ندرك خطايانا، تكون لدينا عقبات قليلة في قبول فكرة ضرورة الصليب.

ثانيا أنه يمثل فداحة حب المسيح. كم هو مدهش أن يحب شخصا ما شخصا آخر بدرجة أن يموت موتا قاسيا جدا على الصليب من أجله، أو أن الله يحبنا لدرجة إنه سمح لأبنه أن يعاني الموت، ومع ذلك مات يسوع.

> لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت. ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رومية ٥: ٦-٨).

جعل بولس من محبة المسيح محبة شخصية له عندما أدرك أن يسوع لم يمت لخطايا العالم أجمع فقط، ولكنه مات من أجل بولس:

> مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه من أجلي (غلاطية ٢: ٢٠).

لكي نثمن الصليب فعلا، يجب علينا ننظر إليه على أنه تضحية ابن الله من أجل كل واحد منا «من أجلي».

الخلاصة

بعد أن رفع يسوع على الصليب قال كما ذكرت الآية ٣٢ من الأصحاح ١٢ في إنجيل يوحنا «أجذب إلي الجميع». الصليب هو قوة الجذب التي لا يمكن نكرانها. إنه رسالة محبوبة تحكي عن التضحية بالنفس لأجل الآخرين الذين لا يستحقونها. تلك الرسالة هي القوة الوحيدة في الكون التي يمكن أن تليّن قلب الخاطئ. وتأتي بنا إلى الله. ألم تُجتذب بعد؟